



يعنى بعرض أهم المقالات والتحليلات والخلاصات لكتب مختارة والمتعلقة بالشأن العراقي

عن الحج الخليجي الى إيران: علاقات تحكمها المصلحة

وجهات نظر/ القدس العربي

خلال تاريخها مرت العلاقات الإيرانية – الخليجية بمراحل من التجاذبات والشد وشهدت في بعض الأحيان لحظات من التقارب كما في المرحلة الخاتمية- نسبة لمحمد خاتمي وعادت للمواجهة في زمن الرئيس محمود أحمدي نجاد، وهي الآن تمر في المرحلة الروحانية نسبة لحسن روحاني أو هكذا يرى البعض في مرحلة من إعادة تقييم للعلاقات وبناء جسور جديدة تقوم على مصالح هذه الدول رغم ما يعتري المنطقة من اضطرابات ومخاوف لدى كل طرف وما تركه الربيع العربي من أثر على الدول الخليجية وصعود الإسلام السياسي ودور إيراني مركزي في بعض الدول.

في البداية تحكم علاقات الدول الخليجية وإيران قوانين الجغرافيا، فهي مجبرة على التشارك في مياه الخليج وتتنافس على مصادره وتخوض في مياهه معركة استراتيجية نظرا لاعتقاد إيران أن لها الحصة الكبرى فيه وتستطيع كما تقول خنق دول الخليج وإغلاق علاقاتها مع العالم ووقف تصدير نفطها بإغلاق مضيق هرمز الذي تمر منه نسبة كبيرة من النفط المصدر للأسواق العالمية وبل احتلال جزر إماراتية واعتبارها جزءا من التابعية الإيرانية.

وظلت سياسات إيران منذ فترة حكم الشاه ومرورا بالثورة الايرانية مصدر قلق لدول الخليج إن من خلال السيطرة والاحتلال كما فعل الشاه في الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى)، أو من خلال تصدير النموذج الإسلامي بعد الثورة عام ١٩٧٩ وإثارة المشاكل سواء في الكويت وفي السعودية والبحرين، وهي دول تعيش فيها جماعات شيعية تتراوح من ناحية الحجم، وقد أعطت الثورة الإسلامية أملا لها خاصة في السعودية التي تعيش فيها الطائفة الشيعية مهمشة.



صحيح أن العلاقات الإيرانية- الخليجية ظلت أسيرة للتجاذبات الإقليمية والدولية، فإيران الشاه لم تكن لتتجرأ على احتلال الجزر الثلاث لو ظلت الناصرية في عنفوانها ولو لم يتراجع دور مصر بعد موت جمال عبد الناصر، وصحيح أن دول الخليج ظلت تعتمد في حماية أمن الخليج ومياهه على الدعم الأمريكي والتحالف الاستراتيجي الذي قام بين الولايات المتحدة ومؤسس المملكة العربية السعودية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ومن هنا كان تواجد الاسطول الأمريكي السادس في مياه الخليج رادعا لإيران عن القيام بأي مغامرة ولكنه لم يردعها عن تطوير مشروعها النووي الذي تحول لمصدر قلق لدول الخليج خاصة السعودية التي أصدرت في العام الماضي تهديدات بتطوير برامجها النووية، ودعت الولايات المتحدة بعبارات الملك عبدالله، حسب وثائق ويكيليكس، «قطع رأس الأفعى».

واستدعى الخوف الإيراني صفقات أسلحة محمومة بريطانية وأمريكية وفرنسية، وتعزيزا للتواجد العسكري الأمريكي في المنطقة لحماية أمن الخليج ومواجهة إرهاب القاعدة، وهذا يصدق على السعودية والإمارات التي قامت بعمليات تحديث وتدريب عاليين لجيشها، وحازت على ثناء وزير الدفاع الأمريكي السابق روبرت غيتس في مذكراته التي صدرت العام الماضي.

تظل العلاقة بين دول الخليج وإيران محكومة أيضا بالظروف التاريخية التي مرت على مجتمعات الخليج التي تظل حديثة التكوين وتجربتها مع الحداثة قريبة العهد ولم تبدأ إلا باكتشاف النفط ومعظم الكيانات والدول في الخليج حديثة لم ينشأ بعضها إلا في العقد الثالث من القرن العشرين عندما قررت بريطانيا لملمة تاريخ الإمبراطورية والرحيل عن هذه المناطق التي رأت في السيطرة عليها حماية لجوهرة التاج البريطاني- الهند، ومقارنة مع ذلك فقد مرت الحداثة الإيرانية بنفس الظروف التي مرت بها الحداثة التركية واليابانية في عهد سلالة «الميجي» وحداثة محمد علي، فالحداثة التي بدأت في عهد القاجاريين وإن كانت حداثة مشوهة وخلقت الظروف فيما بعد لاندلاع الثورة الإيرانية، إلا أن إيران تنظر لنفسها نظرة المتفوق على جيرانها العرب وليس الخليجيين، ولهذا أتسم خطاب القوميين الإيرانيين بنزعة من الشوفينية، وتحكمه عقدة التفوق وتاريخ الفرس وسياسات إيران والطريقة التي تنظر فيها الى نفسها والعالم، وجدت بعض دول الخليج طرقا للتعايش مع إيران مثل عمان التي أقامت علاقات مع طهران لتعويض نقص المصادر وكونها من أقل دول

الخليج في مجال الثروة النفطية ونظرا للخصوصية التاريخية التي تطبع رؤية عمان لنفسها، وبنفس السياق عملت دولة قطر على موازنة علاقتها مع إيران التي تشترك معها بالغاز الطبيعي في مياه الخليج وعلاقاتها مع شقيقاتها من دول مجلس التعاون إلا أن دولا أخرى ترى في إيران تهديدا دائما على المنطقة، وهذا يبدو في موقف السعودية والبحرين والإمارات، فالسعودية التي تعتبر أكبر وأقوى دول منطقة الخليج تتداخل في علاقتها مع إيران المخاوف الاستراتيجية والتنافس على قيادة العالم الإسلامي، فقد تحولت طهران منذ الثورة الإيرانية إلى زعيمة للمحور الشيعي في العالم وتقدم نفسها كحامية للشيعة وتطمح لتوسيع نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، أما الرياض فتستدعي قيادتها من كونها الحارسة والمشرفة على الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، ومثل إيران تريد نشر نموذجها السلفي القائم على أفكار المصلح محمد بن عبد الوهاب.

ومن هنا يفهم الهوس السعودي بالموضوع الإيراني، ففي مقال نشره موقع «مجلس العلاقات الخارجية «عام ٢٠٠٧، كتبه ماكس بوت وجين كيرباتريك عن مشكلة إيران في الخليج وكيف أنهما سمعا في كل اللقاءات مع المسؤولين عن إيران ومشروعها النووي تتكرر بشكل دائم، حيث حذر مسؤول عربي بارز «لو قبلنا بحصول إيران على القنبلة النووية فكأننا نقبل هتلر في ١٩٣٣-١٩٣٤» وكانت هناك في تلك الفترة رغبة سعودية بضرب إيران حيث كان قادة الخليج يعتقدون أن ضربة كهذه يمكن التغلب على آثارها، وبعد مضي سبعة أعوام على هذا المقال قررت امريكا المضي في طريق الحوار مع إيران وهو ما أثار غضب المسؤولين السعوديين نظرا لأن المحادثات تمت بسرية حيث لعبت عمان دورا مهما في تسهيل اللقاءات بين المسؤولين الأمريكيين والإيرانيين، وعبرت الرياض عن مخاوف من تسوية مع طهران تضعها في خارج اهتمام السياسة الأمريكية، ومن هنا جاءت زيارة الرئيس باراك أوباما للرياض نهاية شهر آذار لتطمين القيادة السعودية حول التزام واشنطن بأمن الخليج.

يظل الملف النووي جزءا من محاولة إيران تأكيد هيمنتها ونفوذها في المنطقة، لكن ما يعتري العلاقات الإيرانية الخليجية أبعد من هذا ويتعلق بتدخلات طهران في دول الجوار خاصة البحرين والدور الإيراني في اليمن وما يجري في سوريا من تنافس وحرب بالوكالة صورة عن التنافس بين إيران والسعودية وعن النفوذ الإيراني الذي يتراكم منذ قرار حافظ الأسد التحالف مع إيران وتداعيات المشهد السوري على العلاقات تجاذبا وتقاربا ستكون أعمق أثرا على مستوى المنطقة وتتجاوز ما تركه دخول العراق في الفلك الإيراني بعد انهيار نظام صدام حسين والغزو الانكلو- أمريكي عام ٢٠٠٣ وكان سقوط صدام حسين نتاجا في جزء منه لقرار دول الخليج التخلي عنه بعد أن دعمته في حربه التي خاضها نيابة عنها والغرب ضد إيران الخارجة لتوها من الثورة.

وأظهرت انتخابات سوريا يوم الثلاثاء صورة عن إيران تحتفل بانتصارها على محور الغرب- السعودية، وهذا يعني أن الأخيرة لن تتخلى عن طموحاتها بالإطاحة بنظام الأسد، فالمهمة تعتبر حسب بعض التحليلات شخصية بالنسبة للملك عبدالله، ويعني هذا استمرار الحرب الطاحنة في غياب أفق حقيقي للحل.

وعلى العموم فآفاق العلاقات الإيرانية- الخليجية تظل رهن المصالح الاستراتيجية والمصالح التجارية، وهذا يفسر دعوات حاكم دبي العام الماضي لرفع العقوبات عن إيران، كما وتظل رهن التوترات الطائفية التي باتت تلعب دورا مهما منذ احتلال العراق وقبلها اندلاع الثورة الإيرانية، وفي لغة المصالح وغياب موقف موحد لمجلس التعاون الخليجي تظل مواقف دوله متخالفة حيث تقرر كل واحدة منها القرار الذي يخدم مصلحتها في العلاقة مع إيران، ولأن دول الخليج تظل كيانات صغيرة وذات كثافة سكانية قليلة وتعتمد في مصادرها على النفط فهي مضطرة في غالب الأحيان للاعتماد على حماية ودعم الدول العظمى- في هذه الحالة أمريكا، ووجود هذه يعتبر صماما لمنع أي تأزمات واندلاع حروب، ويفهم من هنا أسباب الحج الخليجي لطهران باعتباره تآلفا مع التقارب الامريكي- الإيراني.



نصرالله إذ يحتفل بانتخابات بشار وفوزه!!

ياسر الزعاترة / الدستور

ما كان لنا أن نعلق على كل خطاب يلقيه الأمين العام لحزب الله لولا الأهمية التي سبق أن حازها الرجل في ضمير كثيرين قبل أن يتورط في مستنقع سوريا، مع أن إشكالياته السياسية سبقت ذلك، أكان بموقفه من العراق أم باجتياحه لبيروت أيار ٢٠٠٨.

وكما قلنا مرارا فإن السياسي حين يذهب في اتجاه تبرير ما يستحيل تبريره فإنه يضطر إلى قول كلام لا يقنع أحدا بما في ذلك مريدوه أنفسهم، فضلا عن أن يقنع الآخرين الذين يصطفون في المربع الآخر أو حتى المربع المحايد وهذا ما حدث ويحدث في معالجات نصرالله للملف السوري.



والحق أن إيراد كلام نصرالله الأخير يوم الجمعة عن سوريا والانتخابات يكفي من دون الحاجة إلى التعليق لأن بوسع أي مبتدئ في عالم السياسة أو ذي ضمير حي أن يرد عليه، لكننا لا بأس بالمرور عليه مع شيء من التعليق.

في الخطاب رأى نصرالله أن أهم حدث حصل في الآونة الأخيرة هو الانتخابات الرئاسية في سوريا (في عرف من كان أهم حدث؟ هل كان كذلك في عرف أحد غير حلفاء إيران، فيما قابلها العالم بكثير من السخرية؟!).



ورأى نصرالله "أن الإقبال الشعبي إنجاز وانتصار لسوريا وشعبها"، وأكد أن "الملايين شاركوا في الانتخابات وهذا أمر لا يمكن لأحد أن ينكره"، هل يستحق مثل هذا الكلام التعليق، فأي انتخابات تلك التي يجري فيها ترشيح رجلين منافسين بأمر الأجهزة الأمنية لا يكفان عن مديح منافسهما؟ وأي انتخابات تلك التي تجري في بلد مدمر نصف شعبه مهجر، وأين هو الإقبال الذي يتحدث عنه وهل كان بوسع من يخضعون لسطوة النظام ألا يصوتوا؟!

هل يقتنع نصر الله أن السنّة في سوريا يريدون بشار وسط هذا الحشد الطائفي الذي يجتاح المنطقة؟ وهل سيشذون عن كل خلق الله فيها؟ ولماذا لا يقاتل معه إلا الشيعة إذا كانت الحرب بين مقاومة وممانعة وبين صهاينة وأمريكان؟!

ومن المثير في كلام نصرالله قوله "إن الملايين قالت إن المعركة ليست بين النظام والشعب، لو كانت كذلك لوجدنا فقط بضعة آلاف تتوجه إلى صناديق الانتخاب، وعند توجه الملايين فهذا يعني أن القيادة تتمتع بحاضنة شعبية كبيرة جدا"، عن أية حاضنة شعبية يتحدث، أليست هي الحاضنة الشعبية العلوية ومعها بعض الأقليات، أي أقل من ربع السكان، وإذا كانت لديه كل هذه الحاضنة الشعبية فلماذا تحميه المليشيات الشيعية القادمة من الخارج بإدارة الحرس الثوري؟!

وقال نصرالله إنه ليس صحيحا "أن الحل (السياسي) يستند إلى استقالة الرئيس الأسد" وقال: "هذا الأمر لم يعد واردا بعدما أعاد الشعب انتخاب الرئيس بشار الأسد، والانتخابات تقول لكل المعارضة والدول الإقليمية والعالمية إن الحل السياسي في سوريا يبدأ وينتهي مع الأسد".

هل ثمة حاجة إلى القول إن الشعب لا يريد بشار وهو انتفض ضده وقدم مئات الآلاف من الشهداء والمعتقلين من أجل التخلص منه، ولولا دعم إيران وحلفائها لسقط سقوطا مروعا دون شك؟!

أما الأكثر إثارة فقول نصر الله "إن الحل السياسي يقوم على مقدمتين أساسيتين: الأولى الأخذ بنتائج الانتخابات وثانيا وقف دعم الجماعات التكفيرية بما يساعد على وقف القتال والحرب ولا يكفي أن تقوم بعض الدول العربية أو الإقليمية بوضع هذه الجماعات على لائحة الإرهاب لأن هناك دولا في المنطقة وضعت أو قد تضع هذه الجماعات على لائحة الإرهاب لكنها ما زالت تقدم الدعم لها" (من يقاتلون إلى جانب بشار مجاهدون شرفاء لهم أعلى درجات الجنة!!!).

هذا مستوى من الغطرسة لا يغير في حقيقة الشعور بالاستنزاف من قبل إيران وحلفائها الأمر الذي لا يخفيه الكلام المتغطرس فضلا عن النزيف السياسي بالشرخ الذي وقع بين الحلف وبين غالبية الأمة.

الانتخابات المهزلة في سوريا التي يحتفل بها نصر الله لم تغير شيئا في معادلة الصراع فالاستنزاف سيبقى والمعركة ستطول ولن يعود الوضع إلى ما كان عليه بأي حال ولن تعلن الأقلية الحرب على الأغلبية ثم تربحها، رغم أن الجميع خاسر دون شك ولا يربح سوى أعداء الأمة.

بقيت الإشارة إلى أن حكاية المؤامرة الصهيونية الأمريكية قد غابت إلى حد ما عن كلام نصر الله، وهاهو غزل جون كيري مع الحزب واعترافه بد ور له في سوريا يشير إلى ذلك!!.



أنتهى